السَّنة السابعةُ والستُّون بعد المئة

فيها جدَّ المهديُّ في طلب الزَّنادقة، وكتب إلى الآفاق بسببهم، وقتل صالحَ بن عبدِ القُدُّوس، وأُحضر بين يديه آدمُ بن عبدِ العزيز بنِ عمرَ بن عبدِ العزيز ـ وكان شاعراً ماجناً خَليعاً ثم تنسَّك، وكان يُرمى بالزَّندقة ـ فقال له المهديّ: زعموا أنك زِنديق، فأَنكر، فضربه ثلاثَ مئةِ سَوط، فقال: واللهِ ما أشركتُ بالله طَرْفَة عين، ولو قطعتَني إِرْباً إرباً ما أَقررتُ على نفسي بباطل، قال: ألستَ القائل: [من مجزوء الرمل]

اِسقني واسق خليلي ... في مدى الليلِ الطويلِ
قهوةً صفراءَ[1] صِرْفاً ... سُبيتْ من نهر بِيلِ[2]
قل لمن يلحاكَ فيها ... من فقيهٍ أو نبيلِ
أنت دعْها وارجُ أخرى ... من رَحيق السَّلسبيلِ

فقال: يا أميرَ المؤمنين، كنتُ فتًى من فِتيان قريشٍ أَمجُن مع الفتيان بلساني، واعتقادي مع ذلك التوحيدُ والإيمانُ بالله، فلا تؤاخذني بما أَسلفت، فالتوبة تَجبُّ ما قبلها، واحفظْ فيَّ عُمَر، فخلَّى سبيلَه.

وبات آدمُ ليلةً ببغداد فأَكلته البراغيث، فقال: [من الطويل]

تطاولَ في بغدادَ ليلي ومَن يَبِت ... ببغدادَ يلبث [ليلَه] غيرَ راقدِ
بلاداً[3] إذا زال النهارُ تقافزت ... براغيثُها من بين مثنَى وواحدِ
دَيازِجةٌ[4] شُهْبُ البطونِ كأنها ... بِغالُ بريدٍ سُرِّحت في مواردِ

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ يمدح فيها الرَّيّ، أولُها:

هنيئاً لأهل الرَّيِّ طِيبُ بلادِهم ... ووالِيهم الفضلُ بن يحيى بنِ خالدِ

(١) في تاريخ بغداد ٧/ ٤٨٥ وتاريخ دمشق ٢/ ٦٥٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٤/ ٥٧٧ : صهباء.
(٢) نهر في بغداد.
(٣) في تاريخ بغداد ٧/ ٤٨٤ : بلاد.
(٤) الديزج: معرب ديزه، وهي لون بين لونين غير خالص. لسان العرب (دزج).

وفيها أمر المهديُّ يقطينَ بن موسى بزيادةٍ في المسجد الحرام، وكان ضيِّقاً، فقدم يقطينُ فاشترى دُوراً كثيرةً وأَدخلها في المسجد، فمات المهديُّ ولم يتمَّ بناؤه.

وفيها[1] أَظلمت الدنيا ظلمةً شديدة لليالٍ بقينَ من ذي الحِجَّة، وأَمطرت السماءُ رملاً أحمر، ودام ذلك، ثم وقع عقيبَه وباءٌ شديد هلك معظمُ أهلِ بغدادَ والبصرة، وأقامت الظُّلمة من السَّحر حتى ارتفع النهار.

وفيها توفِّي **عيسى بنُ موسى**.

وحجَّ بالناس إبراهيمُ بن يحيى بن محمدٍ وهو على المدينة، ولَمَّا عاد إلى المدينة توفِّي بعد الحجِّ بأيام، وولَّى المهديُّ المدينةَ إسحاقَ بن عيسى بنِ عليّ.

وفيها توفِّي **بشَّارُ بن بُرْد**

أبو معاذٍ العُقَيلي الشاعر، مولى بني عُقَيل، ويقال له: المرعَّث؛ لقوله: [من مجزوء الخفيف]

مَـن لـظَـبْـيٍ مـرعَّـثٍ[2] فـاتـنِ الـطَّـرْفِ والـنـظـرْ
قـال لـي لـسـتَ نـائـلـي[3] قـلـتُ أو يَـغـلـب الـقَـدَرْ

وُلد وهو أَعمى، وكان يأتي من التَّشبيهات بما لا يقدر أن يأتيَ بمثله البُصَراء، مثل قولِه: [من الطويل]

كـأنَّ مَـثـارَ الـنَّـقْـع فـوق رؤوسِـنـا[4] وأَسـيـافَـنـا لـيـلٌ تَـهـاوَى كـواكـبُـهْ

وكان بشارٌ شاعراً خطيباً، صاحبَ منثورٍ ومِزْواجٍ[5] وسَجْع ورسائل، وهو المقدَّم في الشعراء المحدَثين، وهو بصريٌّ قدم بغداد، وشهد له أبو تَمَّام بالفضل، وقال الشِّعرَ ولم يبلغ عشْرَ سنين، وقال ثلاثةَ عشَرَ ألفَ بيتٍ جيِّد، فمنه: [من الخفيف]

---

(١) في (خ): وقال. ولعله سهو.

(٢) في ديوان بشار ٢/ ٤١٤ (ملحقات قافية الراء): قال ريم مرعث. وأخرج الخطيب في تاريخه ٧/ ٦١٠ عن أبي عبيدة: قيل لبشار المرعث لأنه كان يلبس في أذنه وهو صغير رعاثاً، والرعاث: القُرْط.

(٣) في الديوان: لست والله نائلي.

(٤) في الديوان ١/ ٢٧٣ : رؤوسهم.

(٥) كذا في (خ)، والمنتظم ٨/ ٢٨٩ ، ولعله أراد: ومزدوج، كما في البيان والتبيين ١/ ٤٩ . قال ابن منظور في لسان العرب (زوج): وازدوج الكلام وتزاوج: أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن. وانظر معجم المصطلحات البلاغية ص٦١٥ .

ولها مِيْسَمٌ كثَغر[١] الأَقاحي وحديثٌ كالوَشي وشيِ البُرودِ
نزلتْ في السَّواد من حَبَّة القلـ ـبِ وزادت زيادةَ المستزيدِ[٢]
عندها الصبرُ عن لقائي وعندي زَفَراتٌ تأكلن صبرَ الجليدِ

ومنه: [من مجزوء البسيط]

قالوا العَمَى منكرٌ قبيحٌ قلت لفقدي لكمْ يهونُ
واللهِ ما في الأَنام شيءٌ تأسَى على فقده العيونُ[٣]

أخذه أبو العلاءِ المعرِّيُّ فقال: [من السريع]

أبا العَلَا يا ابنَ سليمانا إنَّ العَمَى أولاك إحسانا
لو عاينتْ عيناك هذا الورى لم يرَ إنسانُك إنسانا[٤]

وكان أبوه يضربه ويقول: كفَّ لسانَك عن الناس، فقال له: يا أَبَة، لا تضربْني، وقل لهم إذا شكَوني إليك: ليس على الأَعمى حَرَج. فقال لهم ذلك، فقالوا: فِقهُ بُرْدٍ أضرُّ علينا من شِعر بشار.

ومن شِعره في ابن هُبَيرةَ من أبيات: [من الطويل]

إذا كنت في كلِّ الأمورِ[٥] معاتباً خَليلَك لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ
إذا أنت لم تشربْ مِراراً على القَذَى ظمئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُهْ
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنَّه مقارِفُ ذنبٍ[٦] مرَّةً ومجانبُهْ
أخوك الذي إنْ تدعُه لمُلِمَّة يُجِبْك وإنْ عاتبتَه لانَ جانبُهْ
إذا كان خرَّاجاً أخوك من الهوى توجِّهُه في كلِّ إرْبٍ ركائبُهْ
فخَلِّ له وجهَ الفراقِ ولا تكن مطيَّةَ رحَّالٍ بعيدٍ مذاهبُهْ

فأعطاه ابنُ هُبيرةَ أربعين ألفاً. وقيل: إنها للمتلمِّس.

---

(١) في الديوان ٢/ ٥ : مضحك كفر.
(٢) هذا البيت من ملحقات قافية الدال ٢/ ٢٣٠.
(٣) الديوان ٢/ ٥٣٩، باختلاف يسير.
(٤) قال الصفدي في نكت الهميان ص٧٥ : ومن المنحول لأبي العلاء المعري... ثم ذكرهما.
(٥) في الديوان ١/ ٢٦٦ : الذنوب.
(٦) في (خ): ذنباً.

ذِكرُ وفاته:

بلغ المهديَّ أنَّه هجاه، وشهد قومٌ عليه بالزَّندقة، فأمر المهديُّ بضربه، فضُرب ضربَ المتلف، فمات وقد بلغ نيِّفاً وتسعين سنة. وقيل: سعى به يعقوبُ بن داودَ إلى المهديِّ وقد هجا أخاه صالحاً لَمَّا ولَّاه المهديُّ البَطِيحةَ والأهوازَ فقال: [من الطويل]

هـمُ حـمـلـوا فـوق الـمـنـابـرِ صـالـحـاً أَخاك فضجَّت من أخيك المنابرُ[1]

وبلغ يعقوب، فدخل على المهديِّ فقال: إنَّ هذا الأعمى الزنديقَ قد هجاك، فقال: وما الذي قال؟ فقال: أَوَ تُعفيني؟ فقال: لا بدّ، فقال: قال: [من السريع]

خـلـيـفـةٌ يـزنـي بـعـمَّـاتـه يـلـعـب بـالـدُّفِّ وبـالـصَّـولـجـانْ

أَبـدلـنـا اللهُ بـه غـيـرَه ودسَّ مـوسـى فـي حِـرِ[2] الـخَـيْـزُرانْ

وكان بشارٌ لما استولى يعقوبُ على المهديِّ وولَّى الزيديةَ نفائسَ الأعمالِ هجاه فقال: [من البسيط]

بـنـي أُمـيـةَ هـبُّـوا طـال نـومـكـمُ[3] إنَّ الـخـلـيـفـةَ يـعـقـوبُ بـنُ داودِ

ضـاعـت خـلافـتـكـمْ يـا قـومُ فـاطَّـلـبـوا خـلـيـفـةَ الله بـيـن الـنـارِ والـعُـودِ

فقال المهدي: عليَّ به. فخاف يعقوبُ أن يَقدَمَ على المهديِّ فيمدحَه فيعفوَ عنه، وكان بشارٌ بالبَطِيحة، وقيل: بالبصرة، فأرسل يعقوبُ غِلماناً ليُحضروه إلى المهديِّ وقال لهم: غرِّقوه في الخرَّارة بالبَطِيحة.

وقيل: إن المهديَّ قتله ودفنه على حمَّاد عَجْرد على تلّ. فإن صحَّت هذه الرواياتُ فقد تقدَّمت وفاتُه؛ لأن المهديَّ نكب يعقوبَ في سنة ستٍّ وستِّين ومئة، وعلى قول مَن يقول: إنه دُفن على قبر عَجْرد، فقد تأخَّرت وفاته؛ لأنَّ عَجْرداً هلك سنةَ ثمانٍ وستِّين ومئة، والله أعلم.

الحسنُ بن صالحِ بن حَيّ

أبو عبدِ الله الكوفي، من الطبقة السادسة. كان ناسكاً عابداً فقيهاً وَرِعاً، كان يسمَّى

(١) الديوان ٢/ ٤٠٤ (ملحقات قافية الراء).

(٢) الحِر: فرج المرأة. والبيتان في الديوان ٢/ ٥٣٤.

(٣) رواية الديوان ٢/ ١٥٥ : يا أيها الناس قد ضاعت خلافتكم.

حيَّةَ الوادي؛ لأنَّه ما كان ينام الليلَ ولا يقبل بِرَّ أحد، وكان يُفطر على خُبز الشعير. وقال: فتَّشنا على الورع فلم نجدْه في شيءٍ أعزَّ منه في اللسان.

وقام ليلة بـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النبأ: ١] يردِّدها ويبكي ويُغشى عليه، ثم يُفيق فيردِّدها إلى الصباح. وكان يصلِّي الليل كلَّه ثم يجلس في مصلاه، ويجلس أخوه عليٌّ يبكي في حجرته، وتجلس أمُّهما تبكي في غرفتها.

وقال خَلَف بنُ تميم: لما مات عليٌّ وماتت الأمُّ ومات حسن، رأيتُه في المنام، فقلت: ما فعلت الوالدة؟ فقال: بُدِّلت واللهِ بذاك البكاءِ سرورَ الأبد. قلت: وعليٌّ وأنت؟ فقال: وهل نتَّكل إلَّا على عفوه.

وكان حسنٌ إذا صعد المنارةَ ليؤذِّنَ أَشرف على المقابر، فإذا نظر إلى الشمس تحوم على القبور صرخ وغُشي عليه، فيُحمل إلى منزله. وكان إذا خرج في جنازةٍ فنظر إلى اللَّحد فيغشى عليه، فيُحمل على النَّعش إلى بيته.

وكان لَمَّا مات ابنَ ستِّين سنة، واتفقوا على أنه كان ثقةً صحيحَ السَّماع كثيرَ الحديث.

أَسند عن أبي إسحاقَ السَّبيعي وأعيانِ التابعين، وشغله الخوفُ عن الرواية.

صالحُ بن عبد القُدُّوس

أبو الفضلِ البصري، مولى الأَزد. كان شاعراً فصيحاً فاضلاً متكلِّماً، وله الشعرُ الرائقُ في الزُّهد وغيرِه، وقد اتَّهمه المهديُّ بالزَّندقة فأَمر بحمله إليه، فلمَّا خاطبه أَعجبه غزارةُ علمِه وأدبُه وحُسنُ بيانه، فأَمر بإطلاقه، فلما ولَّى ردَّه وقال له: ألستَ القائل: [من السريع]

والشيخُ لا يتركُ أخلاقَه ... حتى يوارَى في ثرى رَمْسِهِ
إذا ارعوى عادَ إلى جهله ... كذي الضَّنَى عاد إلى نُكسهِ

قال: بلى، قال: وأنت لا تترك أخلاقَك[1]، ونحن نحكم فيك بحكمك. ثم أَمر به فقُتل وصُلب على الجسر.

---

(١) في (خ): أخلاقه. والمثبت من المصادر، انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص٩٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٤١١.

وأوَّل هذه الأبيات:

وإنَّ مَن أدَّبتَه في الصِّبا ... كالعُود يُسقى الماءَ في غرسهِ
حتى تراه ناضراً مُورِقاً ... بعدَ الذي أبصرتَ من يُبسه
والقَ أخا الضِّغْن بإيناسه ... ليدركَ الفرصةَ في أُنسه
كاللَّيث لا يَفرِس أقرانَه ... حتى يرى الفُرصةَ في فَرْسه
ما يبلغ الأعداءُ من جاهلٍ ... ما يبلغ الجاهلُ من نفسه
والشيخُ لا يترك أخلاقَه ... حتى يوارَى في ثَرَى رَمسه
إذا ارعوى عادَ إلى جهله ... كذي الضَّنى عاد إلى نُكسه

ومن شِعره: [من الكامل]

المرءُ يجمع والزمان يفرِّق ... ويظلُّ يَرْقع والخطوبُ تمزِّقُ
ولَأَن يعاديَ عاقلاً خيرٌ[1] له ... من أن يكونَ له صديقٌ أحمق
فارغبْ بنفسك لا تصادقْ أحمقاً ... إنَّ الصديقَ على الصديق مصدَّق
وزِن الكلامَ إذا نطقتَ فإنما ... يُبدي عيوبَ ذوي العقولِ المنطق
ومن الرِّجال إذا استوت أخلاقُهمْ[2] ... مَن يُستشار إذا استُشير فيُطْرق
حتى يُجِيلَ بكلِّ وادٍ قلبَه ... فيرى ويعرف ما يقول فيَنطِق
وإن امرؤٌ لسعتْه أفعى مرَّة ... تركتْه حين يُجَرُّ حبلٌ يَفْرَق
لا أَلقينَّك[3] ثاوياً في غُربةٍ ... إنَّ الغريبَ بكلِّ نَبلٍ يُرشَق
ما الناسُ إلَّا عاملان فعاملٌ ... قد مات من عطشٍ وآخَرُ يَغرق
والناسُ في طلب المعاشِ وإنَّما ... بالجَدِّ يُرزق منهمُ مَن يُرزق
لو يُرزقون على وِزان عقولهمْ ... أَلفيتَ أكثرَ مَن ترى يتصدَّق
وإذا الجنازةُ والعروسُ تلاقيا ... أَلفيتَ مَن تبع العَرائِسَ[4] يعبق

(١) في (خ) وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٤ : خيراً، والمثبت من تاريخ الإسلام ٤/ ٤١٢.
(٢) في تاريخ بغداد، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٣ : أحلامهم.
(٣) في (خ): لألقينك. وهو خطأ.
(٤) في (خ): الجنازة. وهو خطأ. والمثبت من المصادر

ورأيتَ مَن تبع الجنازةَ باكياً ... ورأيت دمعَ جوانحٍ[1] يترقرق
لو سار ألفُ مدجَّجٍ في حاجةٍ ... لم يقضِها إلَّا الذي يترفَّق
إن الترفُّقَ للرفيق موافقٌ ... وإذا تسابق فالترفُّق أَسبَق
بقي الذين إذا يقولوا يَكْذِبوا ... ومضى الذين إذا يقولوا يَصْدُقوا[2]

وقال: [من البسيط]

إنَّ الغنيَّ الذي يرضى بعيشته ... لا مَن يظلُّ على ما فات مكتئبا
لا تحقرنَّ من الأيام محتقَراً ... كلُّ امرئٍ سوف يُجزى بالذي كسبا
قد يحقر المرءُ ما يَهوى فيركبه ... حتى يكونَ إلى توريطه سببا
إنَّ العدوَّ إذا أَبدى مُكاشرَةً ... إذا رأى منك يوماً فرصةً وثبا
إذا وترتَ امرأً فاحذرْ عداوتَه ... مَن يزرع الشوكَ لا يحصدْ به عِنَبا[3]

وقال: [من الوافر]

أَنِستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي ... وطاب العيشُ لي ونما السرورُ
وأدَّبني الزمانُ فصرتُ فرداً ... وحيداً لا أُزار ولا أَزور
ولستُ بقائلٍ ما دمت حيًّا ... أَسار الجيشُ أم ركب الأَمير
ومَن يكُ جاهلاً برجال دهري ... فإنِّي عالمٌ بهمُ خبير[4]

وقال: [من الكامل]

لا يُعجبنَّك مَن يصون ثيابَه ... حَذَرَ الغبارِ وعِرضُه مبذولُ
ولربَّما افتقر الفتى فرأيتَه ... دَنِسَ الثيابِ وعِرضُه مغسول[5]

وقال: [من الطويل]

تخيَّرْ من الإخوان كلَّ ابنِ حُرَّةٍ ... يسرُّك عند النائباتِ بلاؤهُ

---

(١) في تاريخ بغداد: نوائح.

(٢) وقع في هذا البيت اضطراب في (خ)، فأثبت ما في تاريخ بغداد.

(٣) الأبيات الثلاثة الأوَل في تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٥ (مخطوط)، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٣. والبيتان الأخيران في تاريخ دمشق ٨/ ٥٠٦ .

(٤) تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٥.

(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٤.

وقارِنْ إذا قارنتَ حُرًّا فإنَّما ... يَزين ويُزري بالفتى قُرناؤه
حبيباً وفيًّا ذا حِفاظٍ بغَيبةٍ ... وبالبِشر والبُشرى يكون لقاؤه
أريباً إذا شاورتَ في كلِّ مُشْكلٍ ... أديباً يسوءُ الحاسدين بقاؤه
فلن يَهلِكَ الإنسانُ إلَّا إذا أتى ... من الأمر ما لم يرضَه نُصحاؤه
تمسَّك بهذا إنْ ظفرتَ بوُدِّه ... فيَهنيك منه وُدُّه ووفاؤه[1]

قال: [من الطويل]

تجنَّبْ قرينَ السُّوءِ واصرِمْ حبالَه ... فإنْ لم تجد عنه مَحيصاً فدارِهِ
ومَنْ يطلب المعروفَ من غير أهلِه ... يجدْه وراءَ البحرِ أو في قراره
ولله في عَرْض السَّماواتِ جنَّةٌ ... ولكنَّها محفوفةٌ بالمكاره

وقال: [من السريع]

كلٌّ إلى الغاية محثوثُ ... والمرءُ موروثٌ ومبعوثُ
فكن حديثاً حَسَناً سائراً ... بعدَك فالدنيا أحاديث[2]

واختلفوا في قتله هل قتله المهديُّ أو عاش بعدَه، فقال الخطيب[3]: قتله المهديّ، وكان قد هجاه، وبلغه عنه أنه عرَّض برسول الله ﷺ في أبيات.

وقال أبو اليقظان: كان صالحٌ يناظر أبا الهُذيل العلَّاف المعتزليَّ ويظهر عليه دائماً ويحمِّقه ويستجهله، فحمله ذلك على أن صنَّف كتاباً في الزَّندقة وعزاه إلى صالح، وبعث به إلى المهديِّ وقال: هذا تصنيفُ صالح، فقتله المهديُّ في آخر سنةِ ثمانٍ وستِّين ومئة، ومات المهديُّ في المحرَّم أوائلَ سنةِ تسعٍ وستِّين ومئة، فكان بينهما أقلُّ من شهر.

وقال أحمدُ بن عبدِ الرحمن المعبِّر: رأيت صالحاً في منامي ضاحكاً مستبشراً، فقلت له: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: وردتُ على ربٍّ لا تخفى عليه خافية، فاستقبلني برحمته وقال: قد علمتُ براءتك مما رُميتَ به، فطِبْ نفْساً وقرَّ عيناً.

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٦.
(٢) شعب الإيمان ٦/ ٣٥٧، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٠٤.
(٣) في تاريخه ١٠/ ٤١٣ ـ ٤١٤.

وقال الهيثم: لما طلب المهديُّ صالحاً هرب واستخفى منه، ومات المهديُّ وقام الهادي، فلم تَطُلْ أيامه، فلم يطلبْه، ووَلي الرشيدُ وقدم الرقَّة، فجلس يوماً مجلسَ العامَّة، فدخل عليه صالحٌ وهو لا يعرفه، فأنشد: [من الكامل]

لَـمَّـا رأتـكَ الـشـمـسُ طـالـعـةً ... سـجـدتْ لـوجـهـك طـلـعـةُ الـشـمـسِ
خـيـرُ الـخـلائـقِ أنـت كـلِّـهـمِ ... فـي يـومـك الـمـاضـي وفـي أمـسِ
مِـن نـبـعـةٍ طـالـت أَرومـتـهـا ... أهـلِ الـوفـا ومـعـادنِ الـقُـدس
إنِّـي أتـيـت إلـيـك مـن جَـزَع ... كـان الـتـوكُّـل عـنـده تُـرسـي
واللهُ يـعـلـم أنَّـنـي رجـل ... مـا إنْ أَضـعـتُ إقـامـةَ الـخَـمـس

من أبيات، فقال له هارون: مَن أنت؟ فقال: عبدُك صالح، قال: قد عفونا عنك. وأمر له بعشرة آلافِ درهم، وكتب له كتاباً إلى عامل البصرةِ يوصيه به[1].

والظاهر أن المهدي قتله، والله أعلم.

عُتبةُ بن أَبان بنِ صَمعة[2]

ويلقَّب بعتبة الغلام لصِغَر سنِّه، بل لجِدِّه في العبادة واجتهادِه. وكان كثيرَ التعبُّد والبكاء، يصوم الدهرَ ويُفطر على خبز الشعير والملح الجَرِيش، وكان يَعجِن دقيقَه في الشمس ويأكله ويقول: كِسرةٌ وملحٌ حتى يُهيَّأ لنا الطعامُ الطيِّب في الدار الأُخرى. وكان يَضفِر الخُوصَ ويتقوَّت به.

وهو من الطبقة السادسةِ من أهل البصرة.

بكى في مجلس عبدِ الواحد بن زيدٍ تسعَ سنين، لا يفترُ من البكاء من حينِ ابتداءِ عبد الواحدِ إلى حينِ يقوم، فقيل له: إنَّا لا نفهم كلامَك من بكاء عُتبة، فقال: تبكي عينُه على نفسه وأَنهاه أنا! لَبئس واعظُ قومٍ أنا!

ونام عُتبةُ ليلةً على جانب البحرِ وقال: إنْ تعذِّبْني فإني لك مُحبّ، وإنْ رحمتَني فإني

(١) الحكاية في زهر الآداب ٢/ ٨٤٠ ـ ٨٤١، وصاحبها علي بن خليل مولى يزيد بن مزيد الشيباني، لا صالح بن عبد القدوس. والله أعلم.

(٢) في (خ): صنعة. والمثبت من المنتظم ٨/ ٢٩٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٤٥١، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٣٦.

لك مُحبّ. فلم يزل يردِّدها إلى الفجر.

وقال: نأكل الخبزَ والملحَ ونقول: العُرس في الدار الأُخرى. وكان يقول: قَطَعَ ذِكْرُ العَرْضِ على الله أَوصالَ المحبِّين. وكان يقول: كابدتُ الليلَ عشرين سنة ثم تنعَّمت به عشرين سنة.

وقال عبدُ الواحد بنُ زيد: انطلقتُ أنا وعتبةُ في حاجة، حتى إذا كنا برَحبة القصَّابين إذا بعُتبةَ يَعرَق عَرَقاً شديداً، وكان ذلك في يوم شاتٍ شديدِ البرد، فقلتُ له في ذلك، فقال: هذا مكانٌ عصيتُ اللهَ فيه.

وكان لعُتبةَ بيتٌ يتعبَّد فيه، فلمَّا خرج إلى الشام أَقفله وقال: لا تفتحوه حتى يَبلغَكم موتي، فاستُشهد في بعض الغَزَوات، ففتحوه وإذا فيه قبرٌ محفور وغُلٌّ من حديد.

وقال قُدامة بنُ أيوب: رأيتُ عتبةَ في المنام بعد موته، فقلت له: يا عُتبة، ما فعل اللهُ بك؟ فقال: دخلتُ الجنةَ بتلك الدَّعَواتِ المكتوبةِ في حائط بيتك. قال: فلما أصبحتُ نظرت إلى بيتي، فإذا على الحائط مكتوب: يا هاديَ المضلِّين، ويا راحمَ المذنبين، ويا مُقيلَ عَثَرات العاثرين، ارحمْ عبدَك المسكينَ والمسلمين أجمعين، واجعلنا مع الأحياءِ المرزوقين، مع الذين أَنعمتَ عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداءِ والصالحين، آمينَ يا ربَّ العالمين.

عيسى بنُ موسى

ابنِ محمد بن عليِّ بن عبدِ الله بن العباس، أبو موسى.

هو ابنُ أخي السَّفَّاحِ والمنصور، نشأَ بالبَلقاء، ثم خرج مع أهله إلى العراق، كان جليلاً نبيلاً في أهل بيته، ولي إمرةَ الموسمِ في خلافة عمِّيه، وولَّاه أبو العباسِ العهدَ بعد أبي جعفر، ومولدُه سنةَ ثلاثٍ أو أربعٍ ومئة، وتوفِّي أبوه موسى غازياً في بلاد الروم سنةَ ثمانٍ ومئةٍ وعُمره سبعٌ وعشرون سنة، وكان عيسى طفلاً، فضمَّه إليه إبراهيمُ الإمام، فكان يتيمَه، ولما أَخذ مروانُ إبراهيمَ ويئس من نفسه، أَوصى مَن حضره من خاصَّته أن الأمرَ بعده لأبي العباسِ ثم لعيسى بنِ موسى[1]، ففعل ذلك أبو العباس مدةَ

(١) في تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٤١ : ثم من بعده لأبي جعفر عبد الله بن محمد، ثم لعيسى بن موسى.

خلافته، وأَوصى إلى أبي جعفرٍ أن يجعلَه بعده، فعاب الناسُ على أبي العباسِ مخالفتَه لأخيه إبراهيم، ثم خَلَعَه المنصورُ بعد ذلك، ولَمَّا خلعه أَقام بالكوفة، ومدةُ إقامته في العهد ثلاثٌ وعشرون سنة، ثم خلعه المهديّ، وكان يلقَّب في ولاية العهدِ بالمرتضَى، وهو الذي تولَّى قتالَ إبراهيمَ ومحمدٍ ابنَي عبدِ الله بنِ حسن، واستعمله أبو العباسِ على الكوفة، فلم يزل والياً عليها حتى عزله أبو جعفرٍ سنةَ ستٍّ وأربعين ومئةٍ، وولَّاها محمدَ بن سليمانَ بنِ عليّ.

وفي عيسى يقول ابنُ هَرْمة[1] : [من المتقارب]

قضيتُ اللُّبانةَ من حاجتي ... وقلتُ لعبديَ قُمْ فارحلِ
أَتتك الرواحلُ والمُلجَمات ... بعيسى بنِ موسى فلا تَعجَلِ
تأنَّيت أَرجوك إنَّ الرَّجا ... ءَ منك على الخير للأفضل[2]
فأنت كريمُ بني هاشمٍ ... إذا المجدُ ولَّى إلى المُفْضِل
سَبوقٌ إلى قَصَبات العُلى ... عَطوفُ اليدين على المُعْيِل[3]
فدونَكَها يا ابنَ ساقي الحَجِيج ... فإنِّي بها عنك لم أَبخل
توارثتُموها وكنتمْ بها ... أَحقَّ وأَوْلى من الجُهَّل

من أبيات.

وكان عيسى إذا حجَّ حجَّ بأُناس من أهل المدينة، ويتعرَّضون له فيَصِلُهم، فمرَّ بأبي الشدائدِ الفَزاريِّ وهو يُنشد ويقول: [من الرجز]

وعُصبةٌ إن حجَّ عيسى حجُّوا ... وإنْ أَقام بالعراق دجُّوا
والقومُ[4] قومٌ حجُّهمْ مُعْوَجُّ ... ما هكذا كان يكون الحجُّ

فسلَّم عليه أبو الشَّدائد، فلم يردَّ عليه وقال: ويحك تهجو حجَّاجَ بيتِ الله! فاعتذر إليه.

---

(١) في (خ): هرثمة. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٥٠. وهو إبراهيم بن علي، ستأتي ترجمته في الصفحة ٤٥٦.
(٢) في تاريخ دمشق: على الخبر الأفضل.
(٣) في تاريخ دمشق: العيِّل.
(٤) في (خ): وللقوم، وفي تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٥١ : فالقوم.

ووُلد لعيسى ابنة، فاغتمَّ وامتنع من الطعام، فبلغ ذلك بُهلولاً، فجاءه فدخل عليه وقال: أيُّها الأمير، بلغني أنَّه ولد لك ابنةٌ فاغتممت، فأيُّما أحبُّ إليك ابنةٌ عاقلة أو ابنٌ مجنونٌ مثلي؟ فقال: لا واللهِ إلَّا ابنةً عاقلة، ودعا بالطعام فأكل.

وبلغ عيسى أنَّ الحسن بنَ قحطبةَ أشار على المنصور بخلعه وولايةِ المهدي، فهدَّده بالقتل، فتمثَّل المنصور بقول جَرِير: [من الكامل]

زعم الفرزدقُ أنْ سيقتل مِرْبعاً أَبشِر بطول سلامةٍ يا مِربعُ[1]

ذِكْرُ وفاته:

كانت وفاتُه بالكوفة لثلاث ليالٍ بقين من ذي الحِجَّة، وكان يومئذٍ على الكوفة رَوحُ ابن حاتِم عاملاً للمهدي، فأحضر القضاةَ والشهودَ والقوَّاد وأَشهدهم على وفاته، وحضر جنازتَه، فقيل له: تقدَّم فصلِّ عليه، فقال: ما كان اللهُ ليرى رَوحاً يصلِّي على عيسى بنِ موسى، فليتقدَّم أكبرُ ولده، فأَبَوا عليه وأَبى عليهم، فتقدَّم العباسُ بن عيسى فصلَّى عليه. وأَظلمت الدنيا عند موتِه يوماً كاملاً.

وبلغ المهديَّ امتناعُ رَوحٍ من الصلاة عليه، فغضب وكتب إليه: قد بلغني ما كان من نُكوصك عن الصلاة على عيسى، أَبنفسك[2] أم بأَبيك أم بجَدِّك كنت تصلِّي عليه! أوليس[3] ذلك مقامي لو حضرتُ فإذا غبتُ كنتَ أَولى به لموضعك من السُّلطان! ثم أَمر بمحاسبته، وكان يلي الخَراجَ مع الصَّلاة والأحداث.

وتوفِّي عيسى والمهديُّ واجدٌ عليه وعلى ولده، وكان يكره أن يتقدَّمَ عليه لجلالته، وكان لعيسى خمسٌ وستُّون سنةً يوم مات.

ذِكرُ أولاده:

كان له أَحدٌ وخمسون ولداً: أحدٌ وثلاثون ذَكَراً، وعشرون أُنثى، فمات من الذُّكور واحدٌ ومن الإناث سِتّ، فورثه من الذُّكور ثلاثون ومن النِّساء أربعَ عشرةَ امرأة.

(١) ديوان جرير ٢/ ٩١٦.

(٢) في (خ): أم بنفسك. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٦٤.

(٣) في (خ): وليس. والمثبت من تاريخ الطبري.